الأمم المتحدة
حقوق الإنسان
مكتب المفوض السامي

المقدمة:
مجموعة أدوات حول تغيير السرديّات المتعلّقة بالهجرة

تلعب الطريقة التي نتحدث بها عن المهاجرين وعن الهجرة دورًا أساسيًا في ضمان المساواة وحقوق الإنسان. انضموا إلينا وأتحفونا بقصص جديدة عن الهجرة ترسم صورة مفعمة بالأمل عن المستقبل الذي يجمعنا وتوحد صفوفنا حول إنسانيتنا المشتركة.

ما هي السرديّات؟

تشمل السرديّات القصص والأطر والاختصارات الذهنية التي نستخدمها لنجوب العالم من حولنا. ورغم أنّنا قد لا ندرك ذلك، إلا أن السرديّات تمثّل جزءا لا يتجزأ من نظام قيمنا، فتتأثّر ببيئتنا وبتجاربنا الحية. وما السّرديّات إلّا ثمار ما يجري على ألسن المجتمعات ووسائل الإعلام والثقافة الشعبية والشخصيات السياسية والأفراد. وما جرت السرديات على الألسن إلّا وترسّخت وتعزّزت، فأثّرت على حكمنا على شتّى القضايا وعلى مدى استجابتنا لها.

وهكذا تشكّل السرديّات المتعلّقة بالمهاجرين والهجرة نظرة الناس للعالم، فتحدّد أفعالهم وتؤثّر على استجابتهم لقضية المهاجرين والهجرة.

كيف ترتبط القصص بالسرديّات؟

ما القصص إلّا زبدة تجاربنا وما تبصره أعيننا وتلتقطه آذاننا، فتبثّ الحياة في الأفكار والعواطف المجرّدة. ومن فطرة الإنسان حبّ القصص. فلكلّ ثقافة ولكلّ مجتمع تقاليد خاصّة في روايتها. وتوطّد هذه القصص نظام قيم تتحرّك فيه الشخصيات بناءً عليها. وقد تكون القيم عائليّةً أو حبًّا أو عطفا أو طموحا أو قوّةً أو تقليدا أو خدمة أو ما شابه ذلك.

وتمثّل القصص جزءا أساسيا من السرديات. فلو عزّزت أكثر من قصّة القيم والمعتقدات والأفعال عينها، وطّدت سردا.

كيف تؤثّر السرديّات فينا؟

فكّر في عبارة" أزمة المهاجرين واللاجئين."ما هي الصور أو القصص أو العواطف التي تتبادر إلى ذهنك؟ ما ينسجه خيالك مبنيّ لا محالة على سرد. وقد يختلف فهمك للعبارة عن فهم شخص آخر، ولكن يمكنك استنتاج كيف سيفهم غيرك هذه العبارة لو أحاط بها سرد سائد.

وتؤثّر هويّة المتحدّث وطريقة تقديمه للمعلومات تأثيرا شديدا في فهمنا وقبولنا للمعلومات الجديدة. فلو تناسبت المعلومات مع إطار سردي نتفق معه بالفعل، أو لو وثقنا في الشخص أو المؤسسة التي تنقل المعلومات، زاد احتمال تقبّل عقولنا لها.

فكلّما تراكمت في عقولنا الرسائل والقصص المتشابهة، شعرنا بأنّ قيمنا ومعتقداتنا وجيهة مُبرَّرة. ولذلك قد تُثار حفيظتنا فنتّخذ موقف الدفاع لو واجهنا معلومات دخيلة عن إطارنا السردي. فلا نلبث أن نبحث عن طرق نعزّز بها سردنا عوض التفكّر في معتقداتنا، فنقع فيما يُسَمَّى "الانحياز التأكيدي". ومثال ذلك شخصٌ تلقّى بيانات تتعارض مع وجهة نظره حول الهجرة فرفضها متحجّجا بعدم اكتمالها أو مشكّكا في صحّتها، وراح يبحث عن معلومات تؤيّد وجهة نظره حتى تترسّخ أكثر وأكثر.

ما هي السرديّات الضارة عن المهاجرين والهجرة؟

ما انفكّت بعض السّرديّات العامّة تزرع الخشية في القلوب في سياق الهجرة. إذ تستخدم أُطُرا تثير الخوف أو تزرع بذوره، وتحرّض تحريضا مباشرا أو ضمنيّا على التمييز والإقصاء وحتّى على الكره والعنف. فترسّخ هذه الأطر غالب الأحيان المفاهيم المغلوطة والصور النمطية عن المهاجرين أو المعلومات المضلّلة عن الهجرة وتؤدّي بذلك إلى تجريد المهاجرين من إنسانيّتهم، ممّا يؤثّر سلبًا على حقوقهم الإنسانية وعلى حقوق المجتمع الأوسع.

ولقد تغلغلت السرديات المعادية للمهاجرين التي يؤجّجها الخوف في جميع أصقاع العالم حتّى بلغت أوجها. فاتّخذت من المهاجرين كبش فداء لشتّى المشاكل المتأصّلة في المجتمع وللمخاوف بشأن الإرهاب والجريمة والبطالة وأنظمة الرفاهية وبشأن الهوية والعولمة وما يحيط بها من شكوك. وما يروّج لهذه المخاوف غالب الأحيان سوى أولئك الذين يسيئون توظيف السرديات لا لشيء إلّا لتحقيق مكاسب سياسية أو مالية أو غيرها، فيفاقمون المخاوف بعناوين صحفهم التي تصطاد القرّاء اصطيادا، وبإعلاناتهم التي تدرّ عليهم أموالا طائلة، وبخوارزمياتهم التي تعلي من الأصوات المتطرّفة على وسائل التواصل الاجتماعي.

وكلّما تردّدت أصداء السرديات مرارا وتكرارا، زاد خطر أن يميل الناس تلقائيا إلى تكوين آراء سلبية عن المهاجرين والهجرة وأن تصبح هذه السرديات أمرا عاديا راسخا في عقولنا إلى درجة أن نأبى "عدم التفكير" بها أو التشكيك فيها.

وقد نبثّ في عملنا في مجال التواصل سرديات مؤذية من غير قصد، فنربط المهاجرين بكلمات مثل العبء والجريمة والجموع أو الدهماء وغيرها من المصطلحات التي تزرع الخوف في القلوب وتثير الشعور بالتهديد أو بوجود أزمة. ومع ذلك، حتّى لو نفينا أو فنّدنا بيانا سلبيا، فقد صرنا لا محالة جزءا من حلقة الصّدى التي تعزّز السرد السلبي. إذ بمجرّد تكرارنا للسرد ضمنّا استمراره.[1]

[1] للمزيد انظر الخطوة 7، عدم الإضرار.

لماذا يجب تغيير السرديات؟

يكتسي تغيير السرديات المحيطة بالهجرة من سلبيّة إلى إيجابية أهمية كبرى. إذ تؤثّر نظرة الناس إلى المهاجرين والهجرة على حياة الأفراد والمجتمعات والنقاشات والقوانين الوطنية والقرارات المتعلقة بالسياسات.

وتبعث السياسات والخطابات التي تجرّم المهاجرين وتجرّدهم من إنسانيتهم رسالة مفادها أنه لا حقوق ولا مكان لهم في المجتمع. فتخلّف سرديات مسببة للانقسامات من هذا القبيل آثارا تتغلغل في مجتمعاتنا، فتحدّ من ثقة المرء وصلته بغيره، و تسمح بمجموعة من التدابير الضارة المترتبة عن السياسات بدعوى السيطرة على الهجرة. ومن هذه التدابير ممارسات المراقبة غير القانونية على نطاق واسع، وتضييق الخناق على المنظمات غير الحكومية وعلى المدافعين عن حقوق المهاجرين الإنسانية على حدٍّ سواء.

وما القوانين والسياسات إلا انعكاس للسرديات في نواح عديدة، فتُبنى على فهم القيم المشتركة. فييسّر الخطاب الترحيبي قبول المجتمع للوافدين الجدد بناءً على قيمة حقوق الإنسان المشتركة. إذ أنه لا يقبل فرد شخصا مختلفا عنه إلا لو أرشده سرد يشجّع على القبول ويحثّ على توسيع دائرة "نحن" عوض زرع الخوف في القلوب والتحريض على الإقصاء.

ولذلك فإنّ إعادة صياغة السرديات المتعلقة بالمهاجرين والهجرة أو تغييرها أمر جوهري سيهدي جماهيرنا إلى تكوين فهم جديد سويٍّ عن قضايانا. ويتطلّب ذلك خلق إطار جديد للفهم، واستحضار نظام قيم جماهيرنا وتكرار الأطر والقصص الواردة فيه، ومواءمة جهودنا مع جهود حلفائنا وشركائنا حتى نوسّع نطاق تأثيرنا.

مجموعة الأدوات

لقد كُلِّفت مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بالسهر على الإعمال الكامل لشتّى الحقوق وبحمايتها ودعم تمتّع الناس كافّةً بها. وتعتقد المفوضية أنّ الحاجة ملحّة لتغيير السرديات المتعلقة بالمهاجرين من التحريض على الكره والإقصاء إلى الاحتفاء بقواسمنا المشتركة ورسم صورة مفعمة بالأمل عن المستقبل الذي يجمعنا، وذلك نظرا للآثار السلبية التي تخلّفها السرديات المؤذية. إذن، تقرّ المفوضية بأنّ تغيير السرديات عنصر جوهري لا غنى عنه في سبيل إحداث تغيير إيجابي وضمان تمتع المهاجرين كافّةً بحقوق الإنسان.

وقد أعدّت مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان مجموعة الأدوات التي بين أيديكم بغية التحفيز على إحداث هذا التحويل، فقدّمت بعض الأفكار واقترحت بعض الأفعال التي قد تخدم هذا الغرض. ويرتكز هذا الدليل المفصّل خطوة بخطوة على العناصر السبعة الأساسية للسرديات المتعلقة بالمهاجرين والهجرة القائمة على حقوق الإنسان، وعلى تجارب شركائنا الذين ساهمت أبحاثهم القيمة وجهودهم الحثيثة والتزامهم في العمل في إثراء هذه المصادر.

ولا تُوجّه مجموعة الأدوات التي بين أيديكم إلى العاملين في المسائل المتعلقة بالهجرة وحسب، بل وتُوجّه أيضا في نهاية المطاف إلى كلّ من يتوق إلى رؤية تغيير حقيقي ويتطلّع إلى لعب دور في مجابهة السرديات المؤذية. والمفوضية السامية لحقوق الإنسان كلها أمل في انضمام الكثيرين منكم إلينا عسى أن نغيّر السرديات المتعلقة بالهجرة وندافع عن حقوق المهاجرين الإنسانية.

كيفية استخدام مجموعة الأدوات

تهدف المصادر التي تنطوي عليها مجموعة أدوات مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان إلى مساعدتكم على حسن تخيّر كلماتكم عند التواصل بشأن مسائل تتعلق بالهجرة، واضعةً نصب عينها تغيير السرديات. وتتوخّى مجموعة الأدوات مقاربة تفاعلية تقدّم من خلالها إرشادات وتدريبات وأدوات وأمثلة عن مختلف ضروب التواصل وأعمالا توعوية هدفها الوصول إلى الجمهور المستهدف. ويجدر بالذكر أنّ مجموعة الأدوات لا تقدّم خارطة تضع استراتيجيات تتعلق بالتواصل أو بإنشاء أو تنفيذ حملات موجهة للعموم.

وتتوخّى مجموعة الأدوات مقاربة تدريجية تدلّكم من خلالها على:

- تكوين رؤية إيجابية **مفعمة بالأمل**
- تحديد **القيم المشتركة** مع جمهوركم بغية بناء سرد إيجابي
- نصائح وإرشادات حول **رواية القصص،** بما في ذلك تفسيرات لمختلف الوسائل
- بثّ الحياة في قصصكم ورؤيتكم في **السياق المحلي**
- إيجاد **أرضية مشتركة،** بما في ذلك من خلال الإنصات واصطفاء خير مبعوث لجمهوركم
- التوصّل إلى **اتفاق** مع حلفاء وشركاء غير متوقّعين
- التمسك بمبدأ **عدم الإضرار،** وتبيّن الأشراك الرئيسية التي يجب تجنب الوقوع فيها وكيفية اختبار رسائلكم.

تغيير السرد العام والسياسي

يمكن أن تساعدكم مجموعة الأدوات على توظيف تقنيات التغيير السردي بغية استهداف الجماهير التي تشكّل شرائح معينة من عامة الناس أو صانعي السياسات. ويبدو التغيير السردي للخطاب العام في مرحلة تحوّل واسعة النطاق في الأوساط العامة، ويشمل ذلك وسائل الإعلام التقليدية ووسائل التواصل الاجتماعي ونبرة تفاعلاتنا اليومية. ثمّ إننا لو حشدنا زخما عامّا نحو سردٍ متعلق بالهجرة أكثر استنادا على حقوق الإنسان، صار بإمكاننا التأثير في نهاية المطاف على القوانين والسياسات والممارسات المتعلقة بالهجرة.

سيجد الأفراد والمنظمات، الذين يوظفون تقنيات التغيير السردي لإحداث تعديلات في السياسات، مجموعة الأدوات مناسبة للتأثير في النقاشات المتعلقة بالسياسات وإحراز تقدّم في المحادثات المستعصية والتوصّل إلى اتفاق متبادل وحلول مشتركة مع صنّاع السياسات أو المشرّعين. ويجدر التذكير بأنّه يقع على عاتق صنّاع السياسات وغيرهم من الأطراف الحكومية الفاعلة واجب دعم حقوق الجميع في نطاق سلطتهم القضائية دون تمييز، وضمان ارتكاز تدابيرهم على البيانات والأدلة. ولذلك تبقى الحجج القانونية والتقنية القائمة على البيانات ذات صلة خاصة. ومع ذلك، ما صنّاع السياسات إلا بشر مثلنا تتأثر وجهات نظرهم وتصوّراتهم بنظام قيمهم وبالسرديات. ولذلك يجب أن تتدبّر عمليات التواصل وأعمال التوعية كيفية فتح باب المحادثات وإيجاد أرضية مشتركة مع صناع السياسات.